بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي أخمد ذكر الطواغيت فصار بعزِّ التوحيد والإسلام مطموساً ، وأذَلَّ بقهره منهم أعناقاً ورؤوساً ، وصرف عن أهل طاعته بلُطْفِهِ وإسعاده أذىً وبوساً ، ورفع كيد شياطين الإنس والجن عن قلوب أهل الإيمان ، فأصبح عنها محبوساً .

وأشهد أن لاإله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة مخلص في معتقده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، صلِّ اللهم وسلِّمْ عليه ، وعلى آله وصحبه ، وعلى سائر التابعين مقصده ، الصابرين من البلاء على أشده .

أما بعد :

فما أشد حاجتنا إلى إعادة النظر في تقويم الرجال بعد رحلة الشقاء التي تركت قلوبنا مجرحة ، وأيدينا مرتعدة ، وسيوفنا ملثمة ، تلك الرحلة التي قام فيها على أمرنا فريق التحف الإسلام ، وتبطَّن الكفر ، حمل بين فكيه لساناً مسلماً ، وبين جنبيه قلباً كافراً مظلماً ، حرص كل الحرص على أن يطفيء نور الإسلام ، ويهدم عز المسلمين ، فلم يجد أعون له على هذا الغرض السيء من أن يقدم لنا الكفر والفسوق والعصيان على « طبق » إسلامي ، ويتولى تزيينَه لنا سَدَنَتُه من الزعماء ، وربائبه من المفكرين ، فكانت النتيجة ركاماً ضحلاً تافهاً مظلماً من المباديء التي أخذناها لنستر بها عُرْيَنا ، فعرينا ! ، والمناهج التي اقتبسناها لننسج بها آمالنا فنسجنا بها أكفاننا !

(إن كثيراً ممن نعتبرهم اليوم دعائم النهضة الحديثة ، لم يصبحوا كذلك في أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة ، التي أرادت أن تضعهم في هذه المنزلة ، لتحقق بذلك أغراضها في نشر مذاهبهم والتمكين لآرائهم ، ولأن كثيراً من الآراء المنحرفة التي لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامي وإلى مجتمعاته ، قد أصبح قبولها ممكناً بِنِسْبَتِها إلى هذه الزعامات وإلى هؤلاء الأئمة ، الذين لايتطرق إلى الناس شك في إخلاصهم وعلمهم ، والواقع أن كثيراً من هؤلاء الرجال قد أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجداً وذكراً بين الناس ، ولم يكن الغرض من ذلك خدمتَهم ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها ، والتي وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه .

وخطة الاستعمار واليهودية العالمية في ذلك كانت تقوم ـــ ولا تزال ـــ على السيطرة على أجهزة النشر التي نسميها الآن « الإعلام » وإلقاء الأضواء من طريقها على كُتَّابٍ ومفكرين من نوع خاص ، يُبْنَوْنَ ، وَيُنَشَّئون بالطريقة التي يُبنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء ، بالمداومة على الإعلان عنهم ، والإشادة بهم ، وإسباغ الألقاب عليهم ، ونشر أخبارهم وصُورهم ، وذلك في الوقت الذي يهمل فيه الكُتَّابُ والمفكرون الذين يصورون وجهات النظر المعارضة ، أو تُشَوَّهُ آراؤهم وتُسفَّه ، ويُشَهَّر بهم ، ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آن ، لايَمَلُّون من التكرار ، لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً جديداً ، أو هم يخاطبون الجيل نفسه ، فيتعهدون بالسقي البذورَ التي ألقوها من قبل .

ونحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال ، لانريد أن ننقص من قدر أحد ، ولكننا لانريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناسٍ يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ ، وأن أعمالهم كلَّها حسنات لاتقبل القدح والنقد ، حتى إن المخدوع بهم والمتعصب لهم ، والمروج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وَصَفَ أحدُ الناس إماماً من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه ، في الوقت الذي لايهيجون

فيه ، ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم بما لايقبلون أن يوصف به زعماؤهم « المعصومون » ! ، ويحتمون بحرية الرأي في كل مايخالفون به إجماع المسلمين ، ويأبَوْن على مخالفيهم في الرأي هذه الحرية ، يخطِّئون كبار المجتهدين من أئمة المسلمين ويجرِّحونهم بالظنون والأوهام ، ويثورون لتخطئة ساداتهم أو مواجهتهم بالحقائق الدامغة) اهـ[1] .

• ويرهق كثير من الكتاب عقولهم في تحديد هوية أولئك المتآمرين ، وهذا لامبرر له ، إذ يكفينا أنهم (كارهون لما أنزل الله) ، فلا نبالي حينئذ أن يكونوا حقاً صنائع اليهودية أو الصليبية أو الماسونية أو الشيوعية ، لأن الكفر مهما تعددت ألوانه ، فهو كفر ، ينبغي محاربته واستئصاله ، ودين الشيطان لايعرف الجنسية .

• وهؤلاء الذين مايزالون يتعامَوْن عن رؤية الواقع الصارخ الذي يؤكد أن هناك مؤامرة وتدبيراً خفياً يستهدف القضاء على الإسلام ــ غافلون ، مخدوعون بأصحاب القفازات الحريرية الذين هم « من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » .

إن من الغباء أن نعمى عن أعداء ديننا ، بل ونتخذهم أولياء من دون المؤمنين ، وهم ــ في ذات الوقت ــ لايدخرون وسعاً في تحطيم مقومات الأمة ، وتنفيذ مخططات أعدائها :

بأبي وأمي ضاعت الأحلام أم ضاعت الأذهان والأفهام
من حاد عن دين النبي محمد أَلَهُ بأمر المسلمين قيام
إن لاتكن أسيافهم مشهورة فينا فتلك سيوفهم أقلام[2]

• وإذا كنا بصدد الحديث عن المؤامرة على المرأة المسلمة كجزء من مشروع استعماري شامل لتغيير وجه الحياة في مصر ، واقتلاع المجتمع الإسلامي من

(١) (الإسلام والحضارة الغربية) للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ، ص (٤٧ ــ ٤٩) بتصرف .

(٢) (غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب) لمحمد بن أحمد السفاريني (١٤/٢) .

جذوره ، فلا ريب يستوقفنا مواقف رضعاء ألبان الغرب والشرق الذين غُسِلَتْ أدمغتهم في دهاليز الكفر ، وترعرعوا في كنف الإلحاد ، وعادوا إلى بلادنا لترتفع على أكتافهم أعمدة الهيكل العلماني ، من هنا كان لابد من وقفات معهم تبين بالوثائق والأدلة موقفهم من الإسلام وعليه موقف الإسلام منهم .

ولئن كان هناك رجال وقفوا حياتهم على هدم الإسلام ، فلابد أن يكون مصيرهم الهدم ، ومن عجيب أمر بعض السُّذَّج أنهم تأخذهم بأولئك الهدَّامين رأفةٌ في دين الله ، وينكرون على من يكشف كيدهم قائلين : « وما يدريك لعلهم تابوا !

ففلان حج أو اعتمر ، وفلان بنى مسجداً ، وفلان أعلن أنه يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم » !

نقول : هذا فهم قاصر لمعنى التوبة في حق هؤلاء ، فإن من شرط توبتهم أن يتوبوا عن مظالمهم ، ويقلعوا عن غيهم ، ويتبرأوا مما بدر منهم في حق دين الحق ، ويندموا على مابارزوا به الإسلام والمسلمين ، ويعلنوا ذلك على الملأ .

وقد يقول قائل : « لعلهم تابوا ، ولكن حيل بينهم وبين إعلان توبتهم » .

نقول : هذا محتمل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ البروج (١٠) ، وقال ﷺ : (... وإنما الأعمال بالخواتيم)[٣] ، والخواتيم مُغَيَّبة ، فلهذا كان من أصول أهل السنة عدمُ الحكم لمُعَيَّن بالجنة ، ولا الحكم على معين بالنار إلا بنص من الوحي ، ولكن هذا لم يمنعهم من أن يُجْروا أحكام الإسلام على من كان يظهر الإسلام في الدنيا ، وأحكام الكفر على من أظهره في الدنيا ، وانشرح به صدره ، ولم يمنعهم ذلك أيضاً من أن يُحَذِّروا من ضلال المُضِلِّين ، وتلبيس الملحدين مع علمهم بأن الخواتيم مغيبة ، إذ إن ذلك من واجبات الديانة .

(٣) قطعة من حديث رواه الشيخان ــ انظر « جامع الأصول » (١٠/٢٢٠ ــ ٢٢١) .

وحينما نعرض الوثائق التاريخية التي تنطق بإدانة أولئك المتمسلمين الذين رفعوا عقيرتهم بالصدّ عن سبيل الله ، فإن مقصودنا الأول هو تحذير المسلمين من ضلالهم ، أما القطع بخاتمة شخص معين ، أو الحكم عليه بجنة أو نار ، فهذا لايملكه إلا العزيز الغفار .

ومن هنا يتضح لك الجواب عما رمانا به أحد « عُبَّاد الصليب » ، وقد أخذته الحمية وتدفقت من قلبه الغيرة على شخصيات تناولها البحث بالنقد ، فكتب في (الأهرام) تحت عنوان : « تشويه العظماء » :

(إن محاولات هؤلاء المتخلفين وهجماتهم لم تقتصر على أعلامنا الأحياء بل امتدت لتشمل رُوَّادنا الراحلين ، أي أن حقد المتخلفين لم يقف احتراماً للموت ، بل استطاع أن يتجاوز حواجزه حتى ينفث سمومه هناك حيث رحاب الله ، وانهالت عليهم تهم الإلحاد والكفر والزندقة ، وكأن هؤلاء المتخلفين قد ورثوا بابوات روما في العصور الوسطى المظلمة في منح صكوك الغفران لمن يحبونهم ، وحجبها عمن يحقدون عليهم !! (قلت : أنت أدرى !!) .

وقد آن الأوان ليعلم هؤلاء المتخلفون الجهلاء أن السلطة الوحيدة التي تملك حق اتهام الآخرين على وجه هذه الأرض هي السلطة القضائية ، وذلك بناءً على قرائن وشواهد محددة ، أما أن يتخيل جاهل متخلف أن في قدرته تحديدَ الذاهبين إلى الجنة ، والساقطين في الجحيم ، فإنه بهذا يتدخل في إرادة الله سبحانه وتعالى)اهـ .

ولا أجد جواباً عليه إلا أن أنقل قوله :

(ولكي ندرك خطورة مايجري الآن ، فلنا أن نتخيل حياتنا الثقافية بدون طابور رُوَّادِنا العظامِ ابتداءً برفاعة الطهطاوي ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وقاسم أمين ، وهدى شعراوي ، ولطفي السيد ، وطه حسين ، ... وسلامة موسى ، ومحمد مندور ، وانتهاءً بتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، وزكي نجيب محمود ،

ولويس عوض ، وأمينة السعيد ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، وحسين فوزي ، ويوسف إدريس ، وأحمد بهاء الدين ، وغيرهم ممن حملوا شعلة الثقافة المستنيرة عبر مايزيد على قرن ونصف من الزمان) اهـ .

ثم أتساءل : ماهو الذي يجمعك ياعابد الصلبان مع هؤلاء الرواد « العظام » سوى وحدة الهدف ؟

إن وثائق الإدانة لهؤلاء الرواد العظام (!) تتزاحم أمامي الآن ، كل منها يستبق ليحتل السطور القليلة في هذه المقدمة ، ولكني أرجيء أغلبها ، وأتخيَّر وثيقة واحدة ، وهي عبارة مظلمة نطق بها يوماً أحد رُوَّادك العظام ، وهو المَدْعُوُّ (أحمد بهاء الدين) قال :

(لابد من مواجهة الدعوات الإسلامية في أيامنا مواجهة شجاعة بعيداً عن اللف والدوران ، وإن الإسلام كغيره من الأديان يتضمن قيماً خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير ، أما ماجاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية فقد كانت من قبيل ضرب المثل ، ومن باب تنظيم حياة نزلت في مجتمع بدائي إلى حدٍّ كبير ، وَمِنْ ثَمَّ فهي لاتلزم عصرنا ومجتمعنا) اهـ[٤] .

إن الإسلام دين الله الحق لايهزم أبداً في معركة شريفة ، ولا يهاب الصراع مع الباطل أيًّا كان ، إذ :

(ليس الخطر الذي يهدد المجتمع الإسلامي ناشئاً عن هذا الصراع ، فالصراع بين الأصيل والدخيل سنة من سنن الله العليم الحكيم ، يضرب فيها الحق والباطل ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ الرعد آية (١٧)

ليس هذا الصراع إذن مصدر خطر ، بل إنه ربما يدعو إلى التفاؤل والاطمئنان ، ولكن مصدر الخطر وعلامته هي أن يزول هذا الصراع ، وأن يفقد الناس الإحساس

---

(٤) انظر : (الصحافة والأقلام المسمومة) للأستاذ أنور الجندي ــ ص (٢١٤) .

بالفرق بين ماهو إسلامي وبين ماهو غربي ، إن فقدان هذا الإحساس هو النذير بالخطر ، لأنه يعني فقدان الإحساس بالذات ، فالجماعات البشرية إنما تدرك ذاتها من طريقين معاً : من طريق وحدتها التي تكونها المفاهيم والتقاليد المشتركة ، ومن طريق مخالفتها للآخرين الیت تنشأ عن المغايرة والمفارقة ، ولذلك كان الخطر الذي يتهدد هذه الوحدة يأتيها من طريقين : الشُعوبية التي تفتتها ، والعالَمية التي تُمَيِّعُها ، فزوال الإحساس بالمغايرة والمفارقة هو هدم لأحد الركنين اللذين تقوم عليهما الشخصية ، وهذا هو ما لا يزيد أن يكون ، نريد أن يظل هذا التمييز بين ما هو إسلامي وبين ما هو طارىء مستجلب ــ شرقياً كان أو غربياً ــ حيًا الأجيال الصاعدة والتالية ، وهي أمانة تلقاها جيلنا عمن قبله ، ولابد أن يحملها إلى من يجيء بعده)[٥] .

وأخيراً ، لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أعان على نشر هذا الكتاب ، والحمد لله أولاً وآخيراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الإسكندرية في الجمعة الثالث عشر من شهر الله المحرم ١٤٠٦هـ .

---

(٥) (الإسلام والحضارة الغربية) ص(٥٩ ــ ٦٠) .